بسم الله الرحمن الرحيم

# اللغة العربية وصراع الهوية

د . مصطفى أحمد عبد العليم
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية ، جامعة الإمارات

## توطئة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن موضوع الهوية يطرح نفسه هذه الأيام بإلحاح شديد على المستويين المحلى و العالمي؛ نظرًا لشيوع ما يسمى بالعولمة أو الكوكبية الجديدة التي أدت وستؤدي إلى هيمنة نموذج اقتصادي ، وثقافي وإعلامي واحد هو النموذج الغربي، بل الأمريكي على وجه الخصوص، وهو ما يفضى بالضرورة إلى سيادة لغة من لغات الدول المهيمنة فى المعاملات التجارية والاقتصادية ، الأمر الذى يؤثر تأثيرًا بالغاً على الهوية القومية لسائر الشعوب و خاصة العربية منها والإسلامية .

ومن ثم رأيت أن أتناول هذا الموضوع من ناحية علاقة الهوية القومية باللغة ، واتجاه اللغة إلى التوحد أيضًا بفعل عدة عوامل من أهمها التواصل والتقارب ،و سعى بعض الدول الاستعمارية إلى طمس هوية الشعوب المحكومة لها عن طريق القضاء على لغاتها الخاصة . وربطت ذلك ببيان خطورة العولمة الحديثة وما تستتبعه من وجود عولمة لغوية مما يؤثر تأثيراً خطيراً على الهوية القومية للشعوب . ويخالف فى الوقت نفسه حقائق التنوع اللغوي التي اقتضتها سنن الله الطبيعية ، ثم أشرت أخيراً إلى خصوصية اللغة العربية وأنها خالدة بخلود القرآن الكريم .

* * *

## اللغة والوحدة الوطنية

إذا كانت هناك أسباب تعمل على اختلاف اللغات وتنوعها فإن ثمة أسبابًا أخرى تعمل على توحدها وائتلافها؛ فإن اللغة عادة ما يتجاذبها اتجاهان متعارضان اتجاه نحو الانقسام والتنوع، واتجاه نحو الائتلاف والتوحد.

## أسباب التوحد اللغوي:

وتتلخص عوامل التوحد اللغوي في خمسة أسباب هى :

1- الوحدة االسياسية فحيث يقوى سلطان الدولة ، وتتحقق الحكومة المركزية المسيطرة على مجموعة من الأقاليم تتحقق لأهلها لغة مشتركة ، وتذوب بينهم الفروق اللغوية واللهجية . وفى التاريخ القديم والحديث أمثلة على ذلك ، فقد كانت الامبراطورية الرومانية تضم دولًا شتى متعددة اللغات ، ولكنها بخضوعها لحكومة مركزية واحدة

تحققت لها وحدتها اللغوية ممثلة فى اللغة الرسمية ، وهى اللاتينية ، وكذلك كان فى اليونان عدد من البلاد ذات اللهجات المحلية ، ولكنها تمتعت بلغة مشتركة بعد تحقق الوحدة السياسية لهذه البلاد . ولما أدركت الدول الأوربية أثر الوحدة السياسية فى تماسك الشعب وقوتها وأهمية اللغة فى تحقيق هذه الوحدة السياسية نشأت القوميات الحديثة على أساس الوحدة اللغوية ؛ فقد وحدت ألمانيا على أساس اللغة وحدها بعد أن كانت مجزأة إلى دويلات كثيرة ، وكذلك وحدت إيطاليا وفرنسا وإنجلترا على أساس اللغة أيضًا."[1] ،وفى الولايات المتحدة الأمريكية عدد كبير من الأجناس والأعراق لم يكن من الممكن أن يتحقق لها أي تجانس ثقافي " ولكن الرابطة اللغوية . فى إطار اللغة الإنجليزية قد جسمت هوية قومية ما كان لها أن تتشكل لولا التوحيد اللغوي . وكانت الجمهوريات الروسية فى مطلع القرن العشرين على قاب قوسين أو أدنى من تفتت لغوى حتمي كان سيؤدى قطعًا إلى انزواء اللغة الروسية المركزية . ولكن إرادة الإنسان قد تدخلت إذ قامت السلطة السياسية المركزية بما أسمته حملة التطهير اللغوي فقاومت نزعة اصطناع اللهجات العامية ، وخططت لإعادة نشر اللغة الروسية ، وشملت حملة رفع الأمية 87 مليون مواطن ."[2]

2- **<u>التجمعات البشرية</u>** ولها صور شتى منها اللقاءات الموسمية لأغراض دينية ، أو تجارية ، أو علمية ، أو رياضية مثل لقاء المسلمين فى الحج ، والتقاء الناس فى المعارض ، والأسواق العامة ، والمؤتمرات العلمية ، والنوادي الاجتماعية، والمباريات الدولية . وكل هذه اللقاءات من شأنها أن تقرب بين اللغات المختلفة ، وتؤدى إلى ظهور ما يشبه لغة مشتركة للتفاهم بين الناس .

ومنها الجامعات والمعاهد العلمية حيث تضم الجامعات طلابًا من مختلف البيئات والثقافات ، ولكل منهم لهجة خاصة ، ولكن الاختلاط الشديد يؤدى إلى إذابة الفروق اللهجية بينهم .[3]

ومنها معسكرات التجنيد ، فالجيش مؤسسة جامعة للرجال المنتمين إلى أقاليم مختلفة التكوين الثقافي والاجتماعي واللغوي ، وهو يوحد بينهم فى المكان والزمان ،

---

(1)انظر: اللغة بين القومية والعالمية 108

(2) العولمة والعولمة المضادة ، للدكتور عبد السلام المسدي 399 – مطابع لوتس – الفجالة 1999م .

(3) انظر فى دور التجمعات البشرية فى التوحد اللغوي : علم اللغة الاجتماعي للدكتور كمال بشر 145-148 –دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

والمأكل ، والملبس ، وسائر الأعمال والأقوال ، فأحرِ به أن يوحد بينهم فى الأقوال أيضًا .

3- **سهولة وسائل الاتصال :** وقد برزت أهمية هذا العامل فى العصر الحاضر ؛ حيث أدت ثورة الاتصالات الحديثة على مستوى الإذاعة ، والتلفزيون ، والأقمار الصناعية ، وشبكات الاتصال السلكية واللاسلكية ، والإلكترونية إلى ارتفاع الحواجز الجغرافية ، وتقريب المسافات والأبعاد بين الدول والشعوب مما أدى إلى تقارب العقول والوجدان ، وإذابة الفروق اللهجية بين أقطار الشعوب ذات اللغة الواحدة كما حدث بالنسبة للغة العربية الفصحى اليوم ، والتي يفهمها جميع العرب من المحيط إلى الخليج رغم التنوع اللهجي الشديد بينهم . يقول الدكتور عبد العزيز شرف : " واليوم يتقارب العرب تقاربًا حثيث الخطى ، وتبرز معالم القومية العربية من نطاق الأمل إلى نطاق العمل ، ويجتهد العرب فى العمل على توحيد الثقافة المشتركة وتقاربها ، وتتصل البلاد العربية اتصالًا دائمًا موصولًا متواليًا بالدراسة وأجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة وغيرها... ولاغرابة فى أن يتلهف العرب فى كل مكان لسماع الإذاعة العربية من أي قطر من أقطار العروبة هذه العوامل والخصائص تعاونت على أن تجعل اللغة العربية لغة مشتركة متصلة بالحياة قابلة للتطور والتجدد [4]".

4- **الدين** فهو الجامعة التي تجمع قلوب معتنقيه على شعور واحد وتوجه واحد ، وتزيل مابينهم من خلافات وصراعات . وقد تمثل أثر الدين فى اللغة أفضل تمثل فى علاقة الإسلام باللغة العربية ؛ فقد جعل القرآن للعرب جامعة دينية سياسية حفزتهم إلى التعرف والاختلاط فى المساجد والنوادي ومواقف الحروب. وقد استحكمت حلقات الوحدة العربية بهدايته ، وكان أكثر القائمين بالدعوة إلى تلك الهداية ممن ينطقون باللغة التي نطق بها القرآن . ولما خرج الإسلام من الجزيرة إلى العراق والشام ومصر وسائر الممالك. ودخل من أهل تلك الممالك الكثير فى دين الله تعلموا اللغة العربية لأسباب مختلفة بعضها ديني وبعضها دنيوي ، ومن غير المعقول أن يعالجوا غير لغة القرآن ، فزال الاختلاف، ورجعت اللهجات المستكرهة بقايا أثرية ... وبذلك التأم صدع العربية واجتمع شتيتها فى لغة العبادة والقراءة والكتابة ."[5]

5 – **الثقافة والأدب** : فالثقافة والأدب هما خلاصة الفكر وروح الفن ، وبهما ومنهما تتشكل هوية الأمة ، وتتحدد شخصيتها ، وللأدب خاصة دور هام فى إيجاد اللغة المشتركة كما حدث للأدب العربي فى العصر الجاهلي ، حيث تقاربت بفضله اللهجات العربية ، وامتزجت فى لغة واحدة مشتركة كان ينظم الشعراء عليها أشعارهم ، ويلقى بها الخطباء خطبهم . وقد ترسخ وجود هذه اللغة المشتركة فيما بعد بنزول القرآن الكريم .

## اللغة والهوية:

---

( 4) اللغة العربية والفكر المستقبلي 177– دار الجيل . بيروت . ط1 . 1991م.

( 5) أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ،104. حسن الباقوري 41–42– دار المعارف – ط4– 1987م .

وتعد اللغة – أيًا كانت – من أهم مقومات الهوية القومية للشعوب ، فهي وعاء الثقافة ، وعنوان الشخصية وكما يقول اللغوي الألماني هردر: "... ولغة الشعب تتمثل فى كل روح الشعب نفسه . إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين ."[6] ،ويقول الفيلسوف الألماني فيخته :" اللغة والقومية أمران متلازمان ومتعادلان إن اللغة التي ترافق المرء ، وتحركه حتى أعمق أغوار تفكيره وإرادته هى التي تجعل منا نحن الألمان مجتمعًا متماسكًا يدبره عقل واحد . إن الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة . ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط متينة ...إن الحدود التي تستحق أن تسمى حدودًا طبيعية بين الشعوب هى التي ترسمها اللغات ."[7]

* * *

## الاستعمار ومحاربة الهوية العربية:

ولأن اللغة هى روح الأمة وعمودها الفقري فقد عمل الاستعمار على طمس لغة العرب يفرق بذلك جماعتهم وينسيهم تاريخهم لتكون له البلاد لقمة سائغة فيبتلعها دون عناء أو عسر .

فحين أرادت فرنسا أن تبتلع الجزائر كان أول ما استعانت به على محو شخصيتها أن فرضت عليها لغتها وثقافتها الفرنسية ، وحرمت فى الوقت نفسه تدريس اللغة العربية والتعامل بها ، وكانت الفرنسية لغة كتابة وتعليم وصحافة ومحافل ، وانزوت اللغة العربية حتى كادت تنسى فى تونس والجزائر والمغرب[8].

وفى مصر أيضًا فرضت بريطانيا اللغة الإنجليزية لغة تعليم ، ونشطت فى الدعوة إلى إحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى ، وفى الدعوة إلى كتابة اللغة العربية أيًا كانت فصحى أو غير فصحى بالحروف اللاتينية ، وكان للاستعمار دعاة وعملاء داخل البلاد يروجون لأفكاره .[9] ولولا الإسلام والأزهر لأصبح مصير اللغة العربية فى مصر هو المصير نفسه فى الهند وغيرها من البلاد التي تلاشت لغاتها أو كادت بفعل الاستعمار.

كذلك استعانت إسرائيل فى طمس الهوية العربية للشعب الفلسطيني بالتلاعب بالألفاظ ، فعملت على تسمية الصراع العربي الإسرائيلي بمشكلة الشرق الأوسط ، أو المشكلة الشرق أوسطية . ويطلق اليهود على الشعوب العربية القاطنة فى هذه المنطقة شعوب الشرق الأوسط ، وهم يصرون على تسمية خليج العقبة فى خرائطهم ونشراتهم ( بخليج إيلات ) إحياء للاسم العبري القديم وتسمية الضفة الغربية ( يهوذا والسامرة ) يقصدون جنوب الضفة وشمالها[10]. وكذلك فعلوا فى كثير من المدن والأماكن حيث استبدلوا بالأسماء العربية أسماءً عبرية .

---

(6) نقلًا عن اللغة بين القومية والعالمية 104 .

(7) نقلًا عن السابق 106 .

(8) انظر: أوربا في مواجهة الإسلام ، للدكتور عبد العظيم المطعني 207 – مكتبة وهبة – ط1 – 1993م .

(9) انظر السابق 217 .

(10) انظر : كتاب الواقع اللغوي والهوية العربية ، للدكتور أحمد سمير بيبرس 14–دار الفكر العربي .

ومن أساليب الاستعمار الغربي للدول العربية التوسع فى إنشاء المدارس الأجنبية وما يسمى بمدارس اللغات التي تقوم على مناهج غير عربية تقدم كلها أو معظمها باللغات الأجنبية مما يؤدى إلى حجب اللغة العربية عن تأدية وظيفتها الأساسية فى وطنها ، وهى كونها الأداة الأولى والأخيرة فى التعليم ، وقد أدى هذا الوضع الغريب إلى انشطار الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع وتمزق أبناء الوطن الواحد ، وكلها أمور تصيب هويتنا وشخصيتنا القومية فى مقتل[11].

* * *

## العولمة اللغوية :

ولم يكتف الاستعمار بما فعله فى الحقبة الماضية من احتلال للبلاد وتدمير للعباد وإفساد للحرث والنسل . بل أراد أن يعود إلى البلاد التي استعمرها من قبل فى صورة جديدة هى نوع من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي ، فقد جاءتنا النذر فى أوائل عقد التسعينيات وعقب سقوط الاتحاد السوفيتي بأن الهيمنة الغربية الأمريكية على وجه الخصوص سوف تبسط نفوذها على العالم كله ، وأن الدول جميعها سوف تتبلور فى نظام عالمي واحد بحيث يصبح العالم قرية واحدة يهيمن فيها نموذج اقتصادي وثقافي وإعلامي واحد هو النموذج الأمريكي ، وهو ما يمثل خطرًا على ثقافات الأمم الأخرى وأديانها وآدابها ولغاتها . ويخالف فى الوقت نفسه السنن الكونية التي وضعها الله للخليقة ، والتي هى سر التنافس فيما بينهم .

والحق أن ظاهرة العولمة ليست جديدة تمامًا ، وإنما هى نوع من الاستعمار الثقافي الذى كانت تمارسه من قبل الدول الكبرى ، والذى عرفته الدول النامية باسم الغزو الثقافي أو التغريب غير أنه فى هذه المرة أشد قسوة وأعظم تأثيرًا .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن ظاهرة العولمة حتمية وأنه لا سبيل إلى مقاومتها أو الفكاك عنها أما أولًا فلأن فى ذلك مخالفة لسنن الله الطبيعية ، والتي اقتضت اختلاف الناس وتفاوتهم فى الخصوصيات والإمكانيات فكيف يمكن إزالة هذه الخصوصيات ودمجها فى شيء واحد ، والله تعالى يقول : [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ] . وأما ثانيًا فلأن فيه استسلامًا ورضًا بالموت والانسلاخ عن الهوية بالكلية. وأما ثالثًا فلأن مصدر هذه المقولة والمروج لها هو الطرف المنتصر الذي يلجأ إلى التهويل والمبالغة لتكريس الضعف فى الطرف الآخر .

والذى يعنينا هو رصد آثار هذه العولمة ومظاهرها من الناحية اللغوية في البلاد العربية لما لها من صلة وثيقة بموضوع العربية وصراع الهوية .

إن هذه العولمة بما ترمى إليه من هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية لابد أن تستتبع هيمنة لغوية ، وهذا ما يقرره المحللون السياسيون والاقتصاديون فى الغرب والشرق . يقول عمانويل فالرشتاين فى مقال له بعنوان الثقافة كمعترك أيديولوجي للنسق العالمي الحديث : " الحداثة تتطلب التغريب ثقافيًا . ومن لم يعتنق إحدى ديانات

---

(11) انظر فى قضية التغريب : كتاب خاطرات مؤتلفات فى اللغة والثقافة ،للدكتور محمد كمال بشر 14، دار غريب للطباعة والنشر 1995م .

الغرب عليه أن يتخذ إحدى لغاته . ومن لم يتخذ إحدى لغات الغرب فعليه على الأقل أن يتقبل تكنولوجيا الغرب التي يقال إنها تقوم على مبادئ العلم العالمية ." [12]

ويقول أرجون أبادوراي : " وعولمة الثقافة تختلف عن توحيدها ، إلا أن العولمة تشمل أيضًا الاستعانة بعدد من أدوات التوحيد ( الأسلحة أو تقنيات الإعلان أو أشكال الهيمنة اللغوية أو الأزياء وما إلى ذلك )".[13]

ويقول فردريش تنبروك : " فبينما كانت وسائل الإعلام تعتمد فيما مضى على اللغة ، وبالتالي كانت موجهة لجمهور قومي ، فإنها اليوم تتخطى الحدود اللغوية والثقافية بسهولة باعتمادها على الصوت والصورة ، وبذلك أصبحت أدوات مباشرة لنقل الصور والرسائل العابرة للثقافات ."[14]

ويقرر الدكتور المسدى أن " النظام العالمي الجديد فى كونيته تلك لابد له أن يتضمن مشروعًا لغويًا بلا أي تشكك وفى غير ارتياب . فاللغة هى الحامل الأكبر للمنتج الثقافي ، وهى الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي ، وهى السيف الأمضى فى الاختراق النفسي ، وعليها مدار كل تسلل أيديولوجي أو اندساس حضاري. فعمالقة الأممية وجبابرة العولمة . .. يعلمون علم اليقين أن اللغة هى أم المرجعيات فى تشييد المعمار الحضاري وفى بناء صرحه الثقافي ."[15]

وقد بدأت آثار هذه العولمة تتبدى فى سيطرة اللغات الأجنبية على مظاهر حياتنا ، و فى تسمية المحلات والشركات والمنتجات بأسماء أجنبية ، وتزيين الملابس واللعب والهدايا بالكلمات الأجنبية ، وكذلك تسمية الأبناء والبنات بالأسماء الأجنبية .

ومن مظاهر العولمة اللغوية كذلك ما نراه من انتشار مراكز تعليم اللغات الأجنبية ، وخصوصًا امتحانات ( التيوفل) التي تنظمها أمريكا فى جميع بقاع العالم، وأصبحت شرطًا أساسًيا من شروط الالتحاق بالجامعات الأمريكية والحصول على وظائف مرموقة فى شتى البلدان .

ومنها أيضًا إقرار اللغة الإنجليزية لغة التفاهم فى التجارة الدولية[16]. واعتمادها لغة رئيسية للمنظمات الدولية ووسائل الإعلام والسياحة . ومن مظاهر الهيمنة اللغوية " أن البلاد المتحدثة بالإنجليزية فى مجموعها هى اليوم إلى حد بعيد أكبر سوق مستوردة فى العالم ، ونسبة البريد العالمي الذى يكتب بالإنجليزية تقدر بسبعين فى المائة ، كما أن 80% من كل المعلومات المخزنة فى بنوك المعلومات مخزنة بالإنجليزية ."[17]

إن العولمة فى حقيقتها نوع من الاستعمار الجديد الذى يسعى إلى السيطرة على البشر ، ووضعهم فى حالة من التبعية الكاملة من خلال الإعلام والتعليم واللغة.

---

(12) ثقافة العولمة إعداد مايك فيذرستون ، ترجمة عبد الوهاب علوب 47 – المجلس الأعلى للثقافة – 2000 .

(13) مقال التباين والاختلاف فى الاقتصاد العالمي – المرجع السابق 283 ..

(14) مقال الحلم بعالم علماني معنى سياسات التنمية وحدودها – المرجع السابق 185.

(15) العولمة والعولمة المضادة 403 .

(16) انظر : الاتصال والهيمنة الثقافية لهربرتشيلر 20 ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح مراجعة د . مختار محمد التهامي– الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م.

(17) انظر : اللغة والاقتصاد لفلوريان كولماس 107 .

وليس الخلاص من مشكلة العولمة أن ندير ظهورنا لها ، وننعزل عما يجرى فى الحياة من متغيرات ، ولا هو أن نلقى بأنفسنا ونذوب فيها ؛ فإن هذا معناه الموت والضياع .

ولكن الخلاص يكمن فى دعم هويتنا القومية عربيًا وإسلاميًا ، وإثارة الحمية الوطنية ، وبث روح الغيرة على اللغة العربية فى نفوس أبنائنا ، والتعامل مع اللغة لا على أنها مجرد وسيلة للتفاهم ، وإنما بوصفها عنوان هويتنا ووعاء ثقافتنا .

وقد أدركت كثير من الدول أنه لا سبيل إلى مواجهة خطر العولمة إلا بعمل تكتلات ضخمة ، فاندمجت الدول الأوروبية فيما يسمى بالاتحاد الأوربي ، وأنشأت أمريكا مع كندا والمكسيك رابطة ( النافتا ) ، وكونت الدول الناطقة بالفرنسية الرابطة (الفرنكفونية ) ، وكونت الدول الناطقة بالإنجليزية منظمة ( الكمنولث ) إلى جانب مجموعة الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي المسماة ( بالكمنولث ) أيضًا ، وكونت دول جنوب شرق آسيا رابطة (الأسيان ) . ورغم هذا لم نسمع حتى الآن – وللأسف – عن تكون رابطة عربية قوية [18]. ونأمل أن يتجه العرب إلى مثل ذلك ، فيكونوا وحدة عربية حقيقية تقوم على وحدة اللغة والثقافة والتاريخ وسائر المقومات العربية والإسلامية ، وتحقق التعاون العربي المتكامل على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية . ولا سيما أن مقومات هذه الوحدة متوفرة إلى حد كبير وفى مقدمتها الوحدة اللغوية .

* * *

## وحدة اللغة العربية وخصوصيتها :

وقد توفر للغة العربية من عوامل التوحد قديمًا وحديثًا ما حفظها على مر العصور ، ووسع من نطاق انتشارها ، وكان أهم هذه العوامل هو العامل الديني المتمثل فى القرآن الكريم الذى بفضله توحدت ألسن الناطقين بالعربية ، فهو يقرأ على الأقل خمس مرات فى اليوم والليلة ، ويرتل ويحفظ من عدد كبير من المسلمين، ولولاه لأصاب اللغة العربية ما أصاب غيرها من عوامل الاندثار والانقراض مثلما حدث للاتينية التي انقرضت بفعل الزمن ، وتحولت لهجاتها إلى لغات جديدة إنجليزية ، وفرنسية ، وألمانية ، وأسبانية ، وغيرها .

---

(18) يرى خبراء الاقتصاد أن التعاون الاقتصادي العربي لم يصل بعد إلى تحقيق أهدافه . بل لا يزال بعيدًا عن تحقيق بعضها ، وأن دراسة أشكال التعاون الاقتصادي العربي المتعددة على المستويين القومي والدولي كانت نتائجه غير مشجعة وغير مرضية فلم يؤد إلى تقارب تدريجي بين الدول العربية ولا بين اقتصادياتها ولا هى سهلت التنمية . راجع فى ذلك : الاقتصاد العربي والشرق أوسطية ، لعبد الهادي يموت ، معهد الانماء العربي ، بيروت ط1 1997 م .والسوق العربية المشتركة ، للدكتور سليمان المنذري 259–260 مكتبة مدبولي–ط1 – 1999 م .

وتشهد اللغة العربية اليوم ـ رغم ما تعانيه من مشكلات نهضة واسعة على المستويين المحلى والعالمي ، وذلك بفضل تقدم وسائل الاتصال الحديثة التي تحاول مخاطبة أكبر عدد من الناس ، ولا تتقيد بقطر معين ، ولا سبيل إلى ذلك إلا باستعمال اللغة المشتركة التي يفهمها جميع العرب، وهى اللغة العربية الفصحى ، واللافت للنظر حقًا أن الإذاعات الموجهة من دول صديقة أو استعمارية فضلًا عن الإذاعات العربية والقنوات التلفزيونية العريقة تتفق جميعها على حقيقة واحدة ، وهى أنه لا مجال للهجات المحلية فى وسائل الإعلام وأن وسيلة الاتصال الحقيقية هى اللغة العربية الفصحى المشتركة ، وليست هذه الإذاعات والقنوات الأجنبية بالطبع بأحرص على اللغة العربية من أهلها ، ولكن القائمين عليها يدركون طبيعة اللغة العربية الفصحى ، وأنها لغة ملايين العرب من المحيط إلى الخليج ولغة مليار مسلم وثلث فى جميع أنحاء العالم.[19]

وتؤكد الإحصاءات العالمية أن اللغة العربية تحتل المكان الثالث بين لغات العالم من حيث انتشارها وسعة مناطقها .[20] وقد تحقق لها من سمات العالمية بالإضافة إلى سعة الانتشار أنها عمرت نحوًا من سبعة عشر قرنًا محتفظة بخصائصها الصوتية والصرفية والنحوية، و صمدت فى كل تاريخها فلم يصبها ما أصاب غيرها من عوامل التفتت والاندثار على حين أن غيرها من اللغات لا يتعدى عمره أربعة قرون ، وأنها لغة حضارية حملت التراث العلمي والمعرفة الإنسانية وطورتهما وأسلمتهما إلى النهضة الأوربية الحديثة . وأنها رحبت بكثير من الألفاظ المقترضة من لغات أخرى واستغلتها فى المصطلحات العلمية ولغة الكلام . وأنها لغة ديمقراطية لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب ، ولا تخلط بين ضمير المفرد وضمير الجمع إلى غير ذلك من الأساليب الأصيلة .[21]

وقد شهد بعض علماء الغرب المنصفين بفضل اللغة العربية ، فيقول المستشرق ارنست رينان : " إن من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ، وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء ، فبدأت فجأة فى غاية الكمال سلسة أي سلاسة غنية أي غنى كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومها هذا أي تعديل مهم ." [22]

ويقول الألماني بروكلمان : " بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها

---

( 19) انظر عن مكانة العربية فى الإذاعات العالمية : اللغة العربية والفكر المستقبلي للدكتور عبد العزيز شرف 168 .

(20) اللغة بين القومية والعالمية 280 .

(21) انظر : اللغة بين القومية والعالمية ، للدكتور إبراهيم أنيس 279 –280 ، والعولمة والعولمة المضادة للدكتور عبد السلام المسدي 389 .

(22) نقلًا عن الفصحى لغة القرآن ، لأنور الجندي 307 .

اللسان الذى أحل لهم أن يستعملوه فى صلواتهم ، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى ." [23]

ويقول سارتون : " إن لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التي اختارها الله للوحي كانت بهذا التحديد كاملة. . .وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى فى التعبير عن المقاصد ، وجعل منها وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة ." [24]

وقد أعلن الكاتب الإسباني كاميلو جوزى سيلا الحاصل على جائزة نوبل فى الأدب لعام 1989 م عن تنبؤاته المستقبلية فيما يتصل بمصير الألسنة البشرية ، وأحدث كلامه دويًا فى الأوساط الثقافية العالمية ." فقد ارتأى أن الثورة الاتصالية التي اختزلت بعد الزمان ، وألغت بعد المكان ، وتجاوزت بواسطة الصورة حواجز أدوات التعبير ستؤدى تدريجيًا إلى انسحاب أغلب اللغات من ساحة التعامل الكوني وإلى تقلصها فى أحجام محلية ضيقة ، ولن يبقى من اللغات البشرية إلا أربع قادرة على الحضور العالمي وعلى التداول الإنساني ، وهى الإنجليزية ، والأسبانية ، والعربية ، والصينية ." [25]

ومعنى هذا أن اللغة العربية لغة عالمية ، لا بمعنى أنها اللغة الوحيدة فى العالم أو التي يرجى لها ذلك على نحو ما نرى مثلا فى الدعوة إلى لغة الاسبرانتو ، ولكن على معنى أنها لغة ذات شهرة عالمية من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها. والعالمية بهذا المعنى ليس فيها ما يضر لأنها لا تعنى رفض اللغات الأخرى ولا تتوسل إلى ذلك بقوى القهر والعدوان أو التهوين مما عند الآخرين .

* * *

## خاتمة

ونأتي في خاتمة هذا البحث إلى أهم النتائج المستخلصة منه ، ثم نتبعها بذكر بعض التوصيات فيما يتعلق بالنهوض باللغة العربية ومن أهم النتائج :

1 . من أهم أسباب الوحدة اللغوية :

- الوحدة السياسية.
- التجمعات البشرية.
- سهولة وسائل الاتصال.

---

(23) نقلًا عن عالمية الإسلام، لأنور الجندي 93 دار الاعتصام 1987م.

(24) نقلًا عن إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز ، لبديع الزمان سعيد النورسي 267 تحقيق إحسان قاسم الصالحي – مطبعة المدنى ط 2 – 1994م.

(25) انظر :العولمة والعولمة المضادة للدكتور عبد السلام المسدى 390 .

- الدين .
- والأدب. والأدب .

2. اللغة من أهم مقومات الهوية الخاصة بالشعوب، فهي وعاء الثقافة وعنوان الشخصية.
3. اللغة هى الباب الذي يدخل منه الاستعمار إلى القضاء على الهوية القومية للشعوب .
4. العولمة نوع من الاستعمار الجديد الذى يستهدف تنميط الثقافات ، والآداب، واللغات فى نمط واحد ، وهو ما يهدد كيانات الأمم ، ويصيب هويتها الخاصة فى مقتل .
5. العولمة ليست ظاهرة حتمية ؛ لأنها تخالف الطبيعة وسننها الفطرية وحقائق التنوع الكائنة فى جميع المخلوقات .ولكنها نزعة عدوانية ، وتحتاج إلى مقاومة الشعوب لها .
6. الموقف الحق من العولمة ليس بالذوبان فيها أو الهروب منها ، ولكنه باتخاذ طريق ثالث نحو التوحد الإسلامي والعربي على كافة المستويات الاقتصادية والثقافية واللغوية . مثلما فعلت كثير من دول العالم فى اندماجها فى تكتلات واتحادات كبرى كالاتحاد الأوربي والنافتا والكمنولث وغيرها .
7. تتمثل العولمة اللغوية فى غزو اللغات الأجنبية لمجالات حياتنا المختلفة ، وفى انتشار مدارس اللغات ومراكز تعليمها ، وفى تسمية المحلات والشركات والمنتجات بالأسماء الأجنبية وفى تزيين الملابس والهدايا بها إلى غير ذلك .
8. سبيلنا إلى الخروج من فخ العولمة هو دعم هويتنا الإسلامية والعربية بتحقيق الوحدة فى شتى المجالات وخصوصًا اللغوي ، وفى هذا الصدد أفضى بهذه التوصيات علها تجد سبيلها إلى التحقق يومًا ما .

## توصيات

1. العمل على تحقيق الوحدة اللغوية، وتعميق الإيمان بجدوى هذه الوحدة بالنسبة لمستقبلنا السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي.
2. تكاتف جهود الحكومات والمنظمات العربية والمجامع اللغوية للتقليل من الاختلافات اللهجية. والحد من انتشار العامية.
3. محاربة الأمية وتعميم التعليم.
4. التمكين للغة العربية الفصحى فى أجهزة الإعلام .
5. كتابة الأعمال الأدبية من قصة ومسرحية ورواية وفيلم ومسلسل باللغة العربية الفصحى.
6. تشريع قانون للحد من غزو اللغات الأجنبية.
7. القضاء على الازدواجية اللغوية وخصوصًا فى مجال التعليم .
8. جعل اللغة العربية لغة التعليم الأساسية فى المدارس والجامعات .
9. جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى الإعلانات التجارية .

10. توظيف اللغة العربية فى مجالات الحياة المختلفة بحيث تكون لغة استماع وتخاطب وتعامل فى المصالح الحكومية .
11. العمل على إنشاء معاجم عصرية على غرار معاجم اللغات الأجنبية يسهل تداولها بين أبناء الدول العربية .
12. العمل على إنشاء معجم تاريخي يبين التطورات الاستعمالية للغة العربية .
13. إنشاء مؤسسة كبرى للترجمة والتعريب بجهود عربية مشتركة لنقل العلوم والمعارف الحديثة إلى اللغة العربية ومواكبة التطور العلمي المتلاحق.

والحمد لله رب العالمين

* * *